

الحوار الدينى ضرورته ، وآفاقه

أ.د. حسن الشافعى^(*)

يتناول هذا البحث بعض الجوانب المتصلة بالحوار الدينى ، وهو الحوار الذى يكون الدين عنصراً أساسياً فيه ، وإن كان أمر الدين - وبخاصة فى الأوساط الإسلامية - عنصراً وارداً فى مختلف أنواع الحوار ، العلمى منها والسياسى والدبلوماسى ، بل العلمى والتجارى وغيرها . وكمدخل للموضوع سنعرض لضرورة الحوار ومشروعيته ، ثم نلقى بعض الضوء على جانبى الحوار الدينى أو نوعيه الكبيرين ، وهما الحوار الداخلى أو الحوار الإسلامى الإسلامى ، والحوار الخارجى أو الحوار الإسلامى المسيحى .

ضرورة الحوار ومشروعيته :

أصدر المفكر المصرى أحمد كمال أبوالمجد الكتاب الصرخة "حوار لا مواجهة" فى منتصف الثمانينيات من القرن الماضى - أى منذ ربع قرن تقريباً - وكانت الظروف الداخلية فى مصر محتدمة بالأحداث الدامية على مدى عقد من الزمان ، سالت فيه دماء بعض السياسيين الكبار والعلماء الأبرار والشباب الأغرار ، ولم يمض كبير زمن حتى وقعت أحداث العاشر من سبتمبر المجنونة التى فتحت على العالم الإسلامى نيران ما سعى "بحرب الإرهاب" ، التى لم تكن من جناتها ، ولكننا ما زلنا نصطلى بنارها فى عديد من أقطارنا الإسلامية . وربما

(*) الأستاذ بقسم الفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ،
وعضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

كانت الاستجابة اليوم لهذه الصرخة المخلصة سبيلاً لتجنب المزيد من الشرور الداهية ، والتصرفات الغاشمة ، على الصعيد المحلى ، والمستويات العالمية فى الوقت نفسه . إن البديل عن الحوار - فيما يقرر الدكتور أبوالمجد هو "المواجهة"⁽¹⁾ هو "المواجهة" والصراع الذى لا يرغب فيه أحد ، إلا النافخون فى النار من أعداء العروبة والإسلام⁽²⁾ ، أو تطبق المشكلات حتى تتحول إلى أزمات ، وتتعرض عندئذ معالجتها أو تتصغر ، وكان من الممكن تناولها فى الوقت المناسب على نحو فعال .

والحوار ضرورى فى وقت يدعو فيه البعض لما أسموه "صراع الحضارات" ، وبالأخص بين الحضارتين الإسلامية والغربية ، وتقوم من ورائه جماعات ومراكز أبحاث دولية⁽³⁾ على حين لا يرى المفكرون المسلمون ، من مختلف التنوعات ، موجباً لذلك ، فيقول الدكتور محمود حمدي زقزوق تحت عنوان "ضرورة الحوار" فى كتابه "الإسلام وقضايا الحوار" : "إن مما لا شك فيه أن الوضع الحالى للعالم وضع مخيف . . ولكن الحضارات والحوار فيما بينها بالمعنى الشامل ، وعلى جميع الأصعدة ، هو الأمر الذى يستطيع أن يعيد للبشرية الأمل فى البقاء . . إنه ليس هناك شئ أكثر خطراً من وجوب الاستعداد لمواجهة مزعومة بين الإسلام والمسيحية"⁽⁴⁾ ، ويقول الدكتور محمد خاتمي : تحن نستبدل الفكرة الخطيرة والخاطئة القائلة بالمواجهة بين الحضارات بالدعوة إلى الحوار بين الثقافات والحضارات . . وفى الوقت الراهن على مفكرى العالم

(1) أحمد كمال أبوالمجد : حوار لا مواجهة ، طبعة خاصة عن دار الشروق ، 2002م ، ص 15.

(2) قطر حسن حنقلى : الغرب وأزمة البحث عن عدو ، المقال الأخير فى كتاب "الإسلام والغرب كراست مستقبلية" ، 2004 ، ص 39 وما بعدها .

(3) قطر صلاح سالم : الإسلام والغرب - إصدار المكتبة الأكاديمية ، بالقاهرة ، ضمن سلسلة كراست مستقبلية " ، 2004م ، ص 39 وما بعدها .

(4) محمود حمدي زقزوق ، الإسلام وقضايا الحوار ، مكتبة الأسرة ، القاهرة ، 2007 ، ترجمة د. مصطفى ماهر ، ص 52 - 53.

الإسلامي والمسيحي الذين يطالبون بالحوار فيما بينهم أن يحذروا ، بشكل خاص ، من تحول الدين والمسائل العقائدية والفكرية إلى أدوات بيد السياسة وأصحاب المصالح السياسية والاقتصادية⁽¹⁾. ويقول الأستاذ عبدالرحمن السالمى العماتى: "لا يصلح لنا إلا نهج التعارف ، الذى ذكره القرآن الكريم بوصفه تعارفاً على الاختلاف واعترافاً به ، وسعياً للجوامع ، وانفتاحاً على الآخر .. ومنهج التعارف هو المنهج الإلهى فى الحقيقة"⁽²⁾.

والحوار ضرورى - وبخاصة فى المجال الدينى - فى الوقت الذى تسعى فيه أطراف محلية ودولية وبالأخص كاثوليكية ، ومن وراءها معاهد متخصصة تعد وترتب للقاءات الحوارية ، إلى العالم الإسلامى ، فى الكثير من مراكزه ، تدعو للحوار وتخرط فيه ، وقد تبدو تلك المراكز لعدم التهيؤ الكافى والإعداد المناسب كأنها غير متجاوبة تماماً ، حتى ليقول أحد أعضاء تلك الوفود الغربية شبه محبط : " ليس للمسلمين من مزاج للحوار "⁽³⁾. والواقع غير ما انتهى إليه ذلك المحاور ؛ يقول الشيخ يوسف القرضاوى فى أحد هذه اللقاءات : "إن الإسلام يحاور الناس جميعاً ، ولكنه يحاور أهل الكتاب خاصة ، والمسيحيين على وجه أخص ؛ فالمنهج القرآنى فى الدعوة يقول : " ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن " .. هذا لكل المخالفين ، ولكن أهل الكتاب منهم .. خصهم القرآن بالذكر فقال : "ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى أحسن" أى بالطريقة التى هى أحسن وليست الحسنة فحسب "وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد" يعنى فى وقت الحوار اذكروا الجوامع

(1) انظر محمد خاتمى : الدين والدولة ، الدار العالمية للكتب والنشر ، القاهرة ، 1998م ، ص 31- 32.

(2) "مقالة بعنوان" التحديات ، الرؤية الإسلامية والتحديات الغربية ، مجلة التسامح ، العدد 12 ، سلطنة عمان ، 2005م ، ص 9.

(3) انظر أحمد والتيفر ، وموريس بورماتس : مستقبل الحوار الإسلامى المسيحى (سلسلة حوارات للشرق جديد) ، دار الفكر ، دمشق ، 2005م ، ص 21.

المشتركة ، ولا تذكروا نقاط التمايز والاختلاف . . وإنما عند الحوار اذكروا ما يجمع بين الفريقين ⁽¹⁾.

ومن ثم ينبغي أن نمارس الحوار ، ونرحب به ، ونعد له إعداداً جيداً ؛ حتى تكون اللقاءات الحوارية مجدية ومؤدية إلى المقصود والهدف المنشود ، وهو التفاهم الصحي المفضى إلى التعايش السلمي ، والتعاون فى الخيرات والمنافسة فيها أيضاً .. ولعل هذه النقطة الأخيرة تسلمنا إلى أن نختتم هذه الفقرة بكلمة موجزة عن مشروعية الحوار بعامة والحوار الدينى بصفة خاصة :

وجدنا أن الحوار وتبادل الرأى بقصد التفاهم والتعارف مطلب إسلامى ، بل هو - فى منطق القرآن - غاية مبتغاة من التعدد والتنوع فى هذا الكون : " يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا" (الحجرات: 13) والقرآن يقرر أن هذا التنوع والاختلاف أمر مقصود ، وسنة من سنن الله فى الخلق : " وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ. إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ" (هود : 18- 19) وتشير بعض الآيات إلى جانب من حكمة الله - سبحانه - فى هذا التنوع والتعدد : " لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ" (المائدة : 48) ، ويقول عز من قائل : " لِكُلِّ وَجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّئُهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" (البقرة : 148).

ومن منطلق الأهمية البالغة للتعارف بين الأمم والشعوب والحضارات والأديان كما يقرر الدكتور زقزوق فى كتابه المذكور آنفاً ⁽²⁾ - على الرغم من الاختلافات فيما بينها كانت دعوة الإسلام إلى الحوار بين الأديان . . ويعد الإسلام

(1) الحوار الإسلامى المسيحى - مؤتمر الدوحة 2003/ 2004م ، نشر دار المستقبل العربى ، ط1 ،

القاهرة ، 2005م ، ص 28- 29.

(2) زقزوق (مرجع سابق) ، ص 282.

أول دين يوجه هذه الدعوة واضحة صريحة في قوله تعالى : "قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ" (آل عمران : 64) . وهذه الدعوة ضرب من التعاون على البر والتقوى الذى أمر الله به المسلمين فى القرآن الكريم : " وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ " (المائدة : 2).

ومما يعين على هذا الموقف المتميز من الحوار ، ومع أهل الكتاب بصفة خاصة وإيجاب القرآن الكريم على المسلمين الإيمان بكل الأنبياء والرسل السابقين - عليهم السلام - " آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ " (البقرة : 285) . بحيث لا يتم إيمان المسلم إذا آمن بمحمد ﷺ وحده أبداً من هؤلاء الأنبياء السابقين عليه الواردة أسماؤهم فى القرآن الكريم : " إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا . أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا..." (النساء : 150-151).

ومن ثم كان التسامح الإسلامى ، والتعايش السلمى بين المسلمين وغير المسلمين فى مجتمع متعاون ، ينعم أهله بالقسط والعدل ، والبر والتراحم سمة التجربة التاريخية الإسلامية كما يشهد بذلك غير المسلمين من المؤرخين المنصفين ⁽¹⁾؛ لأنه استجابة لأصول دينية لا تتبدل ، وليس نزعة عارضة أو فكرة طارئة ، أوجبتها ظروف عالمية أو محلية .

(1) انظر حسين مؤنس : الإسلام الفاتح ، الزهراء للإعلام العربى بالقاهرة ، ص 20 وما بعدها .

الحوار الدينى فى جناحيه الكبيرين :

إذا كان "الحوار الدينى" مشروعاً ، بل مطلوباً فى المنطق الإسلامى ، فمن المهام التى ينبغى أن تتجه إليها همة المفكرين المسلمين أن يلقوا الضوء على هذا الحوار فى مجالاته المختلفة ؛ للتعرف على طبيعته ، وقضاياه وآدابه جميعاً .

وسيحاول هذا البحث الإسهام فى تلك المهمة بالنظر فى أمر "الحوار الدينى" ، الذى يواجهنا الآن بإلحاح فى العالم الإسلامى المعاصر ، فى جناحيه الكبيرين : الداخلى منه وأعنى به الحوار الإسلامى ، سواء جرى بين فئات المجتمع الواحد ، أو بين مجتمعات أو طوائف مذهبية مختلفة . والخارجى ، وأعنى به الحوار الذى جرى ويجرى بين الجانب الإسلامى وممثلى الأديان الأخرى وبخاصة الدين المسيحى . . فالمجالات ثلاثة على هذا المستوى ، وإن تعددت أقسامها على مستويات أخرى من التحليل ، كما سيبتين فى الفقرات الثلاث التالية .

1- الحوار الداخلى فى المجتمع الواحد :

تعانى المجتمعات الإسلامية المعاصرة - على تفاوت بينها - من الصراع الفكرى والمجتمعى الذى سببه الاحتكاك بثقافة الغرب وحضارته اللتين وفدتا فى ركاب قواه الاقتصادية والعسكرية فى القرون الثلاثة الأخيرة ، ولم تكن آثار هذه الاحتكاك كلها سينة ، فقد حرك الأوضاع الراكدة ، ونبه النفوس الغافلة ، و "إن لم تكن الهجمة الغربية هى العامل الوحيد لتحريك الأوضاع الثقافية والفكرية الغافية ، فقد ظهرت بوادر للنهضة الحديثة بعوامل ذاتية دفعت العقل المسلم أن يتململ من واقعه البائس الأليم ، ويستوحى ماضيه العظيم ، على يد أمثال ابن عبد الوهاب ، والسنوسى ، والشوكاتى ، وولى الله الدهلوى . . وممن قبلهم الشيخ

أحمد السرهندي في الهند ، وصدر الدين الشيرازي في فارس ، والشيوخ أحمد الدردير في مصر . . دون صلة واضحة بالفكر الغربي الوافد ، أو احتكاك عملي مع الغزاة الجدد .

فلما تمكن الغربيون بنفوذهم العملي والثقافي من بلاد القلب الإسلامي أخذ الفكر الإسلامي وضعاً جديداً . . فقد أدى الصراع الذي نشأ خلال هذه الفترة بفعل الثقافة الغربية ، وما جاء في ركبها من منهج وضعي في التفكير ، ونظرة علمانية إلى شئون الدولة والمجتمع ، ومزاحمة التعليم الإسلامي التقليدي بآخر مدني غربي النزعة والروح ؛ إلى غير ذلك من المؤثرات .. أدى إلى ظهور ردود فعل متنوعة تتراوح بين الخضوع المطلق أو النسبي لتلك المؤثرات ، ومحاولة عرض الأفكار الإسلامية بأسلوب دفاعي ، والرفض المطلق والتجنب الحذر من الأوساط المحافظة ، وبينهما محاولة لاستيعاب العناصر الصالحة من الفكر الوافد ، ورفض الفاسد منا في نظرة نقدية تحاول أن تتحرر من المواقفين السابقين . . لعل من رجالها محمد عبده في مصر ومحمد إقبال في الهند وابن باديس في المغرب⁽¹⁾.

لكن الأمور أخذت وضعاً آخر خلال القرن العشرين - كما يصل إلى وضع الاستقطاب التام - خلال النصف الثاني من هذا القرن - بين الصفوة التي ضعف صلتها بالتراث الإسلامي وغلب عليها التوجه العلماني بدرجاته المتفاوتة . . والفصائل الرافضة للفكر الغربي ولهذه الصفوة ولما ترعاه من نظم اجتماعية وسياسية ، واختارت موقف الرفض والعزلة أو إن شئت موقف التكفير والهجرة لهذه النظم ورعاتها بل ولمن يخضع لها من عوام المسلمين . . . وساعد على هذا الاستقطاب تأثيرات الفكر الماركسي الذي وصلت أصداءه إلى العالم الإسلامي

(1) انظر حسن الشافعي : منخل إلى دراسة علم الكلام ، ط2 ، مصر ، مكتبة وهبة ، 1991 ، ص 124-127 . وانظر محمد البهي : الفكر الإسلامي الحدي وصلته بالاستعمار الغربي ، ط1 ، ص 120 ، وما بعدها ، وأحمد أمين في ختامه كتابه : رضاء الإصلاح في القرن العشرين ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص 246-247 .

فى الربع الثانى من القرن الماضى ، وهذا من ناحية بعض أفكار السيد أبى الأعلى المودودى والأستاذ سيد قطب فى الربع الثالث منه من ناحية أخرى . . . لكن هناك - ولا يزال بحمد الله - جمهور الأمة وسوادها الأعظم الذى ضايق صدرأ بكلتا الطائفتين ، وحافظ على تراثه الثقافى وتواصله عبر الأجيال ، وعلى موقف معتدل من الحضارة الغربية - كما يقول المؤرخ الرصين أحمد أمين بالتميز بين جانبها المادى والمعنوى فأما الحضارة المادية فقد تقبلها العالم الإسلامى فى سهولة ويسر ، وأما الحضارة المعنوية من أفكار وعقائد فقد قوبلت بحذر ولم تنفتح لها الصدور . . لأنها أحياناً تصطدم بالعقيدة ، وأحياناً تخالف التقاليد الموروثة⁽¹⁾.

وعن هذه الجماهير التى هى ميزان الأمان فى واقع الأمة ، و مناطق العمل فى مستقبلها ، بعد ما مرت به خلال القرن المنصرم من تجارب قاسية ، وغمرات فاشية ، يقول الأستاذ أبوالمجد فى كتابه الصرخة : "أما الجماهير فقد بدأت تدرك أن الخيار بين المدرستين خيار ظالم ، وأنهما جميعاً تتغذيان على مابقى من رحيق فى كيان الأمة وأن منهجها منهج خوف وهلع لا تستقيم به حياة ولا تقوم عليه حضارة ، فأما إحداهما فهى فى خوف مقيم على الإسلام ، وهلع مذعور على المسلمين من كل نغمة جيدة أو اجتهد جديد . . وأما الأخرى فهى فى خوف من حضارتها ، وشك عميق الجذور فى تلك الحضارة ، تستره بالمداراة أحياناً ، وبالتأويل الفاسد - بعيداً عن كل دليل - أحياناً أخرى⁽²⁾.

إن هذا السواد الأعظم - من وجهة نظرنا بما يضمه من علماء مخلصين، ومفكرين مستيرين ، وأناس صالحين - مطالب بإجراء حوار مخلص مع هاتين الفئتين على طرفى المنظومة الاجتماعية فى أكثر بلاد المسلمين ، كل مجتمع بحسب ظروفه الخاصة ، وبالأخص فى تلك البلاد التى كانت أكثر احتكاً

(1) راجع أحمد أمين (مرجع سابق) ، ص 247.

(2) أبوالمجد : (مرجع سابق) ، ص 9-10.

بالفكر الغربى ، أو أوفر نصيباً من التدابير الموجهة لتلك الغزوة الحضارية الغربية ، فى بلاد الشامز الأفريقى ، وتركيا ، وشبه القارة الهندية ، وإندونيسيا ، عسى أن تجتمع الأمة على كلمة سواء ، أو تزداد المواقف اتضاحاً أمام الجميع ، ويخبو البريق الزائف لدعوى هاتين الفئتين فلا يندفع بها أحد ، ولكن هذا الدور الذى ندعو إليه يحتاج إلى اجتهاد فكرى ، وإلى صبر ومثابرة ، وإلى ظروف عامة مواتية ، وإلى بعد عن كل قهر أو إكراه ، وإلى إخلاص الوجه لله ، ولكنه - فيما أحسب - فريضة الوقت وواجب اللحظة التاريخية ولا مفر من أدائه ، حواراً مجتمعياً حراً مستمراً.

أ- حوار الصفوة العلمانية :

أسلفنا أن الحوار الناجح يتطلب من المشاركين فيه فهم طبيعة هذا الحوار ، والهدف منه ، والقضايا البارزة المثارة فيه ، والأدب المرعى فى ممارسته .

ونود أن نقول فى البداية بياناً لطبيعة هذا الحوار الذى نحن بصدده إنه - بطبيعة الحال - حوار داخلى ، أو حوار إسلامى / إسلامى ، يدور بين طائفتين من المسلمين ، وهو داخلى بمعنى آخر فهو يدور فى مجتمعات سنية فى الغالب خضعت لرياح عاتية من المشرق والغرب وإن لم تنتج المجتمعات الأخرى من ذلك التأثير ، وهو يدور - أو يرجى له أن يدار - مع فئة عالية الثقافة والخبرة بالعالم المعاصر وتياراته الفكرية ، فلا بد لمن يشارك فيه أن يكون على المستوى نفسه ثقافة وخبرة ، ولكن هذه الطائفة - على ما أتيج لها من ثقافة وخبرة - تعاني من ضرب من القطيعة ولون من الإحباط ، أما القطيعة فقد صنعتها هى بنفسها ، وهى القطيعة مع تراث الأمة انتهى إلى شبه قطيعة مع الأمة نفسها ، إذ فقدت هذه الفئة - فى تقديرى - بحكم قطيعتها مع التراث الإسلامى ، أو ضعف نصيبها منه ، أو تأويلها إياه . . فقدت جسور التواصل مع

جماهير الأمة، ونبضها الحي ، ونغمة الخطاب الذي يبلغ من أنفسهم مواطن الإقناع ، إنها قطيعة مع التراث الحضاري انتهى إلى قطيعة مع الجماهير . . وأما الإحباط الذي انتهت إليه الظروف على كل حال ؛ فلأنهم على ما تيسر لهم من علم وخبرة ، ، قرب من مواقع السلطة أو مشاركة فيها ، لم يتيسر لهم صياغة نظرية للنهضة ، أو قيادة برامج ناجحة في مجال التنمية والتقدم ، وظلت الأمة - في الجملة - في ظل قيادتهم الفكرية أو العملية تعاني التخلف والجمود .

أما الهدف فإنه - ككل حوار ناجح - التفاهم أساساً ، ولكنه هنا تفاهم وتعارف يؤدي إلى التقارب أو يلغى مسافات التباعد والقطيعة أو يحد منها ، ولا ينبغي أن يسرف المرء في تحميل الحوار مهما خلصت نواياه وصح تناوله ، أهدافاً ثقالاً . . فإن فصاماً أدت إليه فترات طوال من التطعيم الأحادي البعد ، والممارسات الطويلة الأمد لن ينتهي أو يتضاءل إلا من خلال تواصل جاد وحوار صبور ، وقد ينتهي الأمر إلى صيغة يمكن أن تستثمر كل إمكانيات الجانبين ، تفتح بها الأمة من التخلف والجمود إلى حال التقدم والنهضة .

أود أن أقول : إن ما أسلفته من تحليل لموقف هذه الفئة من فئات الأمة، وبالتالي لطبيعة الحوار معها ليس نظرة ذاتية ، فهذا محلل واسع الإطلاع وثيق الصلة بالفكر الغربي بهذه النخب المنفتحة عليه ، هو الأستاذ أحمد النيفر يتحدث في عمل مشترك مع أحد الآباء المسيحيين عن " .. المأرق الذي انتهت إليه عموم النخب العربية ، حين لم تناقش ذاتها، بل واختارت أن تتجاهل تلك الذات ، هذا إن لم تقمعهها ⁽¹⁾ ثم يقول عن إخوانه من النخب المغربية : "إن ما يميز النخب المغربية عموماً ، في الفترة الحديثة ، أنها لم تنطلق من منظومة القيم القديمة السائدة ؛ فلم تعمل على إبراز ما فيها من طاقات ذاتية بقصد استيعاب حاجات العصر ، كان تعلقها بما اكتشفته بانبهار القيم الحديثة قد أذهلها عن البحث في شروط تجزئ تلك القيم في الواقع المحلي ، وعما يعنيه انهيار المجتمع

(1) أحمد النيفر والأب موريس بورماتس (مرجع سابق) ، ص 13.

التقليدى من فقدان كل تواصل اجتماعى ، وكل مناعة وطنية ⁽¹⁾. أليس فى هذا النص كل العناصر التى أسلفناها وزيادة ؟

أما عن القضايا التى يمكن أو ينبغى - أن يدور حولها هذا الحوار فيورد الأستاذ أبوالمجد أبرزها ، وأولها :

(1) قضية "الدين" ذاته ، وما ينبغى أن يكون له فى حياة الفرد والمجتمع.. وعلاقة الدين بإدارة المجتمع وتنظيم شئونها السياسية والاقتصادية مطقة لم تحسم .. ما زالت مواقف الناس الحقيقية فى شأنها متراوحة بين العثمانية الخالصة ، التى تقتفى أثر المجتمعات الأوروبية والأمريكية . . وبين النظرة الدينية الشمولية التى تستغرق أحوال الفرد والجماعة على اختلافها . . وموقف ثالث يرى أن الدين - والإسلام بصفة خاصة - يمتد اختصاصه إلى جميع جوانب الحياة الفردية والجماعية للمؤمنين به ، ولكنه امتداد رعاية وعناية وتوجيه ، وليس بالضرورة تقديم الحلول النهائية الثابتة . . ⁽²⁾.

(2) ومنها قضية "تطبيق الشريعة" ، ويذكر الأستاذ أبوالمجد أنها مرتبطة بفكرة الحاكمية ، التى تتفاوت آراء الناس حولها .

(3) ومنها قضية "المرأة" التى تتراوح بين تصور تقليدى جامد ، وآخر غريبى ، وما زال التناقض على أشده بين الرؤى المختلفة . هذه وأمثالها مجرد نماذج فقط ، إذا ذكرت فى هذا الصدد فإنها لا تغيد أطراف الحوار أن يتناولوا كل ما يروونه معيناً على التقارب ، وعلى إقالة عثرة الأمة فى كبوتها الحضارية الراهنة.

لا يرجى فى كل حوار إلا أن يراعى الاحترام المتبادل ، والإخلاص للهدف ، والتوقف عن التعالى والاستفزاز ، ولكن فى هذه الحال يلزم تذكر ما أوردهاه فى طبيعة النزاع الداخلية ، وأن كلا الجانبين يعنيه مصير الأمة باعتباره

(1) السابق ، ص 52.

(2) أحمد كمال أبو المجد : (مرجع سابق)، ص 16.

جزءاً منها ، وأنه ينبغي الترحيب بكل خطوة نحو التقارب من الجانبين مهما كانت قصيرة . . والتشبث بالصبر وطول النفس - كما سلفت الإشارة .

ب- حوار الفئة الغالية :

هذا مجال آخر من مجالات الحوار الداخلى أو الإسلامى / الإسلامى مع الفئة المقابلة للفئة أو المجموعة السابقة من أهل التوجه العلمانى ، وقد تجنبنا مصطلحات التطرف والإرهاب والأصولية ونحوها ؛ لتوظيفها الذى ابتذل دلالاتها فى الإعلام الغربى ، ولاختلاف دلالات بعضها - كالأصولية مثلاً - فى ثقافتنا عنها فى الثقافة المسيحية .

بالرغم من التقابل فى المواقف والنظرة العدائية المتبادلة فهناك تشابه فى طبيعة الموقف الحوارى بينهما : فكلاهما يعانى من قطيعة مع التراث والناس، لكن قطيعة "العلمانية الحديثة" مع التسليم بتفاوت درجات تطبيقها كانت مع التراث أولاً ، ترتب عليها فقدان التواصل الحميم مع الناس ، وفعالية الخطاب العلمانى الموجه إليهم . أما الفئات الغالية فقد هجرت المجتمع الفاسد - أو الكافر - واختارت العزلة سبيلاً إلى تكوين كوادرها ، التى تنقض من هذا المنفى الذاتى على هذا المجتمع لتقويض أركانه وتقييم مكانه المجتمع "المسلم" المنشود ، غير أن هذه العزلة أو "الهجرة" بمصطلح القوم انتهت مع تطور فكرهم إلى قطيعة مع التراث وأصول الاجتهاد فيه ، وإلى الزعم بالمواجهة المباشرة مع القرآن الكريم. وفى الوقت الذى يتجاهلون فيه تراث الأئمة من أصول وفروع فباتهم - أو بعضهم- احتفظوا لأنفسهم بالحق فى اتباع فكر الخوارج⁽¹⁾ . على أن التطرف سمة مشتركة بين الفريقين وإن كان أحدهما فى اتجاه اليسار والآخر فى اتجاه اليمين ، وربما كانت هذه السمة الأخيرة هى التى أنجبت وصفاً مشتركاً آخر

(1) السابق 55- 61، وأحمد الجلى : دراسات فى الفرق الإسلامية ، ط الخرطوم ، ط أولى ، ص 70 وما

بعدها .

يلاحظه الأستاذ النيفر إذ يقول : " مأساة النخب - تحديثية كانت أم أصولية - ليس في المشاريع التي تبشر بها ، ولكن في تماثل القاع الثقافي الذي تستند إليه ، قاع رافض للحوار منتج للتمزق ، وحائل دون الاستقلال الثقافي والسياسي⁽¹⁾ . فالاستبداد هو نتاج طبيعي للتطرف أياً كانت وجهته . لكن القوم في النهاية مسلمون ، والحوار هو داخل الدائرة الإسلامية ، وقد عاملهم الإمام على - وهم يكفرونه - معاملة المسلمين ، وأوفد إليهم ابن عباس يحاورهم ، وما أحرانا الآن - برغم نزوع أكثر الغلاة إلى الجريمة - أن نتبع هذه التقاليد العريقة⁽²⁾ ، فالقوى الأمنية ليست وحدها الوسيلة لمواجهة الانحرافات الفكرية ، وفي ظاهرة المراجعات دليل قوى على ما نقول .

أما الهدف هنا فنحن أكثر تفاؤلاً ، ويمكن أن نتوقع أنه لو جرى حوار حقيقي من علماء مخلصين ، يحترمون طبائع هؤلاء القوم ، مهما كانت غرايتها ، فسيعودون - كما حدث فعلاً فيما أسلفنا - إلى أحضان الأمة ، وإلى الفكر السمج لأهل السنة والجماعة ، ومقاليد القلوب بيد الله - عز وجل - وما علينا إلا المحاولة وإخلاص النية له تعالى .

عدد الأستاذ أبوالمجد نماذج لقضايا الحوار ، وهو ممن عنوا بهذا الأمر وكتب فيه مقالات عدة بعد صدور الكتاب وقبل صدوره وأورد قوائم للقضايا الأساس لدى هذه الفئات لتكون تحت نظر المفكرين ، وقد قدر لكاظم هذه الأسطر أن يكتب في قضيتين منها في بحث ألقينته منذ عشرين عاماً في رحاب رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة عن : مسألة " جماعة المسلمين " وقضية المغالاة في الولاء والافراد في الثقة بقيادات هذه التجمعات الغالية ، ومما أورده في كتابه : قضية تلقى العلم الشرعي والمعرفة الدينية ، ومنهج الاجتهاد في تفسير النصوص ، ومسألة الطاعة المطلقة لأمر الجماعة (وهي ما كتبت عنه) ومنهج

(1) أحمد النيفر (مرجع سابق) ، ص 58.

(2) انظر حسن الشافعي : (مرجع سابق) ، ص 60 - 64.

العزلة أو الهجرة للمجتمع ، وفكرة الحاكمية والتباساتها ودور المودودي وسيد قطب فى هذا الصدد، ومسألة الديمقراطية وأن الأخذ بها كفر لإشراكها العباد فى أمر التشريع ، ومنها تكفير مرتكب المعصية وتكفير المجتمعات الإسلامية المعاصرة ، وفكرة الجماعة المسلمة (وقد سلفت الإشارة إليها) وحكم الخارج عليها . . إلى غير ذلك ⁽¹⁾ مما تناوله بعضهم فى مراجعاتهم ، ويجمل بعلماء الأمة أن يناقشوه .

بجانب الآداب العامة للحوار العلمى ، فلا ننسى أن ظاهرة التطرف عالمية لا تخص المسلمين ، وأن المنحرفين إليها - مهما ساعدت تصرفاتهم - شباب أغرار قليلو المعرفة ، حظهم من الإخلاص الساذج أكبر من حظهم من الحكمة والخبرة ، ومشكلاتهم مع أنها مركبة من أمور فكرية وسياسية واجتماعية واقتصادية إلا أنها قريبة الغور إذا قيست إلى الاتجاه العلماني الذى تجذر على مدى قرون ، وعلى العلماء والمنقذين الذين يكثر الشكوى والغمز واللمز أن يقوموا بدورهم التنويرى الصحيح ، مستهدين بالحديث الذى يرويه ابن عبد البر فى كتابه جامع بيان العلم وفضله : " يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين وتأويل الجاهلين ، وانتحال المبطلين " صدق رسول ﷺ.

وأخيراً - فإن الحوار مع الفئتين السابقتين من الحوار الداخلى (العلمانية والغالية) إنما هو العلاج السريع على المدى القصير ، أما العلاج على المدى البعيد فإن كاتب هذه الصفحات تهديه خبرته مع بعض هذه الجماعات ومع مؤسسات التعليم الإسلامى إلى القول بأنه إصلاح التعليم العام ، وإصلاح التعليم الدينى بوجه خاص ، لا لأن هذا الأخير هو مفرخ الغلو والتطرف كما يدعى البعض ، فالإحصاءات - على الأقل فى مصر - تدل على غير ذلك ، ولكن لأنه هو البنية الأساسية للفكر الدينى ، وكل ما يقال من تجديد الخطاب الدينى أو

(1) انظر أبوالمجد : (مرجع سابق)، 55- 71.

التجديد بوجه عام أو الإصلاح للفكر والحياة الإسلاميتين هو منوط بإصلاح التعليم الدينى منه بوجه خاص ، لكن على نحو ينبع من داخل هذه الكيانات التربوية ولا يملأ عليها من خارجها ، ويعيد للتعليم الإسلامى حريته المالية وتأمينه المستقبلى ، ويجعل التمكن من العربية وعلوم الشرع الإسلامى ، مع فهم الواقع المحلى والعالمى هو المقصد ، وليس الحيف على هذه العلوم ومدخلها الطبيعى والضرورى وهو علوم العربية .

2- الحوار الداخلى - المذهبى (بين الشيعة الإثنا عشرية - وأهل السنة).

هذا ضرب من الحوار الإسلامى / الإسلامى أو ما أسميناه الحوار الداخلى فى مقابل الحوار الخارجى بين المسلمين وغيرهم ، وليس من الممكن اختزال الظاهرة الطائفية فى العالم الإسلامى المعاصر ، وحاجتها إلى الحوار فيما ذكرناه من الحوار بين السنة والشيعة الإثنا عشرية، فهناك الإباضية فى مشرق العالم العربى ومغربه فى وجود تاريخى وجغرافى ممتد ، وهناك الزيدية فى اليمن بفكرهم المتميز فى جملته ، وبتجاهاته القريبة من أهل السنة ، وهناك فئات وطوائف أخرى فى مناطق متعددة من العالم الإسلامى ، لها ممثلوها فى مختلف أنحاء العالم .

لكن الإثنا عشرية على كل حال أكبر هذه الطوائف جميعاً ، وعلاقتها بأهل السنة والجماعة ملتبسة ومعقدة منذ الصدر الأول ، وقد استمرت على هذا النحو تهدأ وتضطرب حتى أفضت أخيراً إلى الترك العثمانيين فأخذت شكلاً حاداً فى أكثر الأحيان ، وفى الفترات الأخيرة أخذت المسألة شكلاً جديداً بقيام الجمهورية الإسلامية الإيرانية ، التى تعد نفسها ممثلة للموقف الشيعى فى صيغته الإثنا عشرية ، ولها فى العلاقات المحلية والدولية وضع خاص . ونحن هنا نتكلم عن حوار دينى لا شأن له بالأوضاع السياسية ، ورغم معرفتى - بحكم تخصصى الدقيق - بصعوبات هذا النوع من الحوار ، فإننى أعتقد بأهميته - على

صعيد ثقافى ودينى ومجتمعى - لذا معشر أهل السنة بحكم هذه الصعوبات نفسها، وبخاصة أن القوم يدعون إلى الحوار ، وإن كانوا يعملون على نشر مذهبهم ، وتصدير أفكارهم فى الوقت نفسه ⁽¹⁾، ولديهم فكر دينى متطور ، ونظام تعليمى راسخ ، وهم يتعلمون انتقاضاً على ما فرض عليهم ، من القوى الإقليمىة والعالمية من عزلة ، ولديهم الرغبة والقدرة على التحدى ، مع نزعة برجماتية فى ذات الوقت ، ومن الصعب أن نقول بإمكانية الحوار مع أصحاب الأديان الأخرى وممارسته فعلاً ثم نتوقف أو نتردد فى ممارسة الحوار مع هؤلاء الأخوة المسلمين ، ولنا أن نثير معهم كل الأمور التى تشى بها الأسطر السابقة التى أوردتها ، كشفاً لطبيعة هذا الحوار وخصوصيته ، ولكن على صعيد ثقافى ودينى بحث . وغنى عن البيان أن القادرين على إدارة هذا الحوار والإسهام فيه هم العارفون بأعماق الفكر الإثنا عشرى ، وهو فرع من الدراسة لا يعنى به علماء السنة ، بقدر ما يعنى علماء الشيعة بمعرفة مذاهب أهل السنة وتراثهم فى الحديث والفقه وأصوله وعلم الكلام ، وقد كان الوضع مختلفاً فى القرون الأخيرة من الألفية الهجرية الأولى وكان التواصل الفقهى والكلامى رائجاً ، وفى هذه الفترة ازدادت غلبة القوم بالفكر الصوفى بخاصة ⁽²⁾، فلما جاء العصر الذى يقال فيه إن العالم قرية واحدة ضعفت وشائجنا الثقافية .

إذا كانت السطور السابقة كاشفة - إلى حد ما - عن طبيعة هذا الحوار ، فإن الهدف منه هو مزيد من التعارف ، والعلم بحقائق موقف كل طرف لاستبعاد الصور النمطية الشائعة ، والتأسيس لأمور عملية فى العلاقات الثقافية والمذهبية فى الوقت نفسه ، ومحاولة رأب الصدع ولم الشمل بين أجزاء الأمة الإسلامية وإن كان هذا الجانب الأخير هدفاً غير سهل التحقيق بعد حزازات القرون ، لكن

(1) السابق، ص 278، ومحمد خاتمی : (مرجع سابق)، ص 33، 76، 83 - 86.

(2) انظر حسن الشافعى : (مرجع سابق)، 105 - 129، ومحمد إقبال : تطور الفكر الدينى فى إيران

(ترجمة الشافعى وجمال الدين) ، ط لوى ، القاهرة، ص 50، وما بعدها.

يمكن على أى حال مع التواصل على هذا الصعيد التقليل من عوامل الخلاف ونوازع الفرقة بين أكبر فرقتين من فرق المسلمين وقد أمرنا بالإصلاح حتى فى أحوال الائتتال " فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا " (الحجرات : 9) فكيف فى أحوال السلم والتداعى للحوار .

إن القضايا الرئيسية التى ينبغى إثارتها فى حوار ثقافى ودينى يجرى مع الإخوة الإثنا عشريين تتنوع إلى أمور فكرية وعلمية كاستيضاح موقفهم من صحابة رسول الله ﷺ، ومما نسب إلى بعض رجالهم بشأن "الزيادة والنقيصة" فى كتاب الله - تعالى ، نعم إنه ليس قولاً مسلماً من المذهب ولكن من المهم تحديد الموقف من القاتل به ، ومنها قضية الغلاة ووجوب توافر الجهود العلمية والعملية لنفى هذا الغلو الفكرى بعيداً عن حياض أهل السنة والشيعية على السواء، وكذا بالنسبة إلى بعض الأكيان المنشقة - عن الملة الإسلامية . ومن القضايا العملية التى ينبغى إثارتها والاتفاق بشأنها قدر الإمكان: قضية سب الصحابة الموجودة فعلاً فى تراثهم ، ووجوب وقفها تماماً فى مجتمعهم ، وقضية حقوق المجتمع السنّى فى غرب إيران ووقف ما عساه يكون من اضطهاد أو تمييز فى المناطق السنية ، ومن القضايا العملية أيضاً وقف تصدير الثورة أو المبادئ الشيعية إلى المجتمعات السنية فى آسيا وإفريقيا وهو الأمر الذى ترصد له - فيما يقال - إمكانيات ينبغى أن توجه إلى شئ آخر . على أن الحوار نفسه سيولد مسائل ومجالات للتفاهم وربما للتعاون والتسامح إذا حسنت النيات وصفت القلوب ، وغلبت مصالح الأمة على المصالح الخاصة كما فعل الإمام الحسن ، رضى الله عنه .

ومن آداب الحوار إلى جانب الندية والمساواة والاحترام المتبادل ، الرجوع إلى النصوص التى تصور الآراء من وجهة نظر أصحاب كل مذهب ، وأن يتم الحديث فى إطار الإخوة الإسلامية . فالحوار داخلى فى نهاية الأمر ، وأن يتجنب الحوار فيما يعده القوم من ضروريات المذهب ، أو فيما لا طائل من ورائه كمسألة المتعة ، ومسألة الغيبة ونحوهما .

3- الحوار الدينى الخارجى - بين المسلمين والمسيحيين :

تتسع دائرة الحوار الخارجى لأطراف أخرى من أهل الكتاب ومن أديان الشرق كالبوذية والهندوكية والطاوية وغيرها ، لكن الحوار الجارى والمتحرك على أصعدة مختلفة هو الحوار مع الإخوة المسيحيين وبخاصة الكنيسة الكاثوليكية ، فلدى القوم إدارات متخصصة تعد للحوار وتنظمه ، وتحدد مهامه ومراحله - كما أسلفنا - على نحو ينبغى أن نتعلم منه ، وأن تنشأ بعض الإدارات المسنولة والمزودة بالميزاتيات والخبراء فى منظمة كمنظمة العالم الإسلامى مثلاً. وبالرغم من حيوية هذا الحوار وتواصله على مدى نصف قرن فإن جدواه تتعرض لبعض الشكوك من الجانبين ⁽¹⁾، ولكن هناك من يرى عكس ذلك ومنهم الأستاذ أحمد النيفر وزميله الأب بروماتس فى عملهما الهام "مستقبل الحوار الإسلامى المسيحى" ، ويبنى الأستاذ النيفر موقفاً جديداً يؤسسه على مفهوم "الكلمة السواء" وعلى موقف قرأنى ينظر من خلاله إلى المستقبل الروحى للإنسانية ، ويأمل أن يتغير موقف اللا حوار لدى بعض النخب العربية ، والحوار الضائع أو "المفوت" لعدم الإعداد والتجاوب الصحيح ، وأياً ما كان الأمر فإننا يمكن أن نمد صيحة الأستاذ أبى المجد "حوار لا مواجهة" لتشمل هذا المجال من مجالات الحوار الذى لم يتعرض له فى كتابه المذكور ، وليس هناك مواجهة نتحسبها من الكنيسة ولكنها يمكن أن تؤثر فى الجماهير الغربية كما حدث فى شجبتها لغزو العراق مثلاً ⁽²⁾، ويشارك الأب بروماتس الأستاذ النيفر تفاؤله ، ويؤكد به آمال جديدة لثمرات الحوار .

إن هذا الحوار وإن كان خارجياً إلا أنه يجرى مع قوم يقول القرآن فيهم: "لَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوْدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى" . (المائدة : 82) ،

(1) انظر د. عز الدين إبراهيم : مقال بعد أربعين سنة من الحوار الإسلامى المسيحى، العدد 107 من مجلة "المسلم المعاصر" عام 2002م. وأحمد النيفر وموريس بروماتس: (مرجع سابق)، ص 91- 21.

(2) السابق ، ص 23.

ومن الممكن أن تكون له ثمرات مفيدة للجانبين وبخاصة إذا روعيت الجوانب العملية القابلة للتعاون ، وترك لكل فريق أن يعد بنفسه النصوص المعبرة عن رأيه بدلاً من أن يجهز قوم وجهات نظرهم مكتوبة ويتطوعوا أيضاً بكتابة وجهة نظر الآخرين - كما حدث في أحد اللقاءات التي شاركت فيها - على أن العلاقات الداخلية مع إخواننا المسيحيين في المجتمعات الإسلامية لابد أن تكون نصب الأعين في كل مرحلة من مراحل هذا الحوار ، وبرغم أن أكثر أنشطة الحوار تتم مع أطراف الكنيسة الكاثوليكية فإن السنوات الأخيرة أوضحت أن العلاقة الإيجابية من الكنيسة الإنجليزية تجلب نتائج طيبة كما حدث في زيارة رئيس أساقفة كاتدربرى للأزهر الشريف وزيارة الأمير شارلز له أيضاً .

إن الهدف من هذه اللقاءات الحوارية مع ممثلي الدين المسيحي وبخاصة الكنيسة الكاثوليكية هو المزيد من التفاهم ، والإطلاع على حقيقة المعتقدات الخاصة بكل طرف من أوثق المصادر لديه ، وليس التبارى ولا الدعوة ، ولا الأسلوب الاعتدالي في الوقت نفسه ، والإسهام في إسقاط الصور النمطية للإسلام والمسلمين في ذهنيات بعض مسيحيي الغرب ، ويحسن عدم الإلحاح على الجوانب الثيولوجية إلا في إطار مزيد من التفاهم المتبادل للتجربة الروحية لدى الجانبين .

أما عن القضايا التي يتناولها فهي نوعان : نوع من القضايا التقليدية التي يثيرها الإخوة المسيحيون عادة ، ويجب علينا ألا نتردد في معالجتها من واقع الحقائق المسلم بها في مصادرنا المعتمدة ، وأن نطمئن إلى سلامة الموقف الذي سوف يتخذه المحاور المسلم دون تعنت أو حرج ، فمن ذلك قضايا الحرية الدينية ، والتعددية الدينية وقد قدر لكاتب هذه السطور أن يقدم فيها ورقة من وجهة النظر الإسلامية في بعض هذه اللقاءات ، وقد تثار بعض الأمور المتصلة بأوضاع فكرية لدينا في العالم الإسلامي ، ومن حقنا أن نوضح الحقائق دون أي حرج . وسوف يتقبل الجانب الآخر إيضاحاتنا في غالب الأحوال ، ومن ذلك أيضاً قضية القواسم المشتركة وهي تلقى الترحيب في الجو الإسلامي .

هذا ومن حقنا أن نشارك في وضع "أجندة" اللقاء وأن نثير مسائل تتعلق باهتماماتنا وقضايانا ، ونفترض مسائل مثل : حماية أماكن العبادة لكل دين التي يذكر فيها اسم الله من أي مساس أو تغيير لوظيفتها أو نزاعها من أصحابها ، وقضية احترام الرموز الدينية والكف عن استغلال أي طرف بالمساس بمقدساته أو رموز دينه واحترام كافة الأديان - عليهم السلام - ومنها قضية الحذر من استغلال بعض الساسة لأنشطة الحوار الديني بين الدينين ، في موكب العولمة مثلاً أو نحو ذلك من الأغراض ، ومنها مسألة الأقليات الإسلامية في الغرب ، والعمل على حماية حقوقها الدينية والاجتماعية والثقافية أسوة بإخوانهم المسيحيين في الشرق ، ومنها مسألة احتفاء الغرب - على نحو مفتعل - بمن يهاجمون العقيدة الإسلامية وهم لا يستحقون ذلك الاحتفاء ، بل يكون في بعض الأحيان احتفاء انتقامياً استغلزياً وهو ما لا يتفق مع روح أي دين أو آدابه . ومن ثم تكون اللقاءات فضلاً عن أغراضها التقليدية مجدية ومفيدة للجانبين ، وأعتقد أن الجانب المسيحي سيرحب بإدراج هذه الموضوعات أو بعضها في "أجندة" الحوار ، ومن واجبنا أن لا نثير شيئاً إلا إذا أعدنا له الإعداد الجيد الرصين .

فيذا جننا إلى النقطة الأخيرة في هذه الفقرة الثالثة ، فإن آداب الحوار المرعية بوجه عام هي الواجبة للرعاية في هذه اللقاءات أيضاً ، وإذا جاز أن نعيد التأكيد على بعض القيم والمبادئ في هذا الصدد فبإتي الخص ما أورده الأستاذ القريشي في مجلة "المسلم المعاصر" وإن كان يوجهها إلى حوار الحضارات الذي يشمل في نظره الجوانب الدينية أيضاً ، مركزاً فيها أيضاً على هدف التفاهم بمعنى التعارف ، محذراً مما يحول دون ذلك ، منبهاً على القيم الإيجابية في هذا الصدد : كاستهداف التعرف على حقيقة الآخر ، والإقلاع عن تجاهله ، والتخلي عن الصور النمطية وتعبد التشويه ، والكف عن التأويل المشتط وترك الآخر يوضح نفسه بنفسه ، والنظرة الكلية للآخر دون تجزئة أو اختزال ، ثم يحذر من الجوانب السلبية أو معوقات الفهم وعقبات التعارف ،

كمواقف الاستكبار والصلف، ورفض التعددية وعدم احترام خصوصيات الغير ،
والتعصب وسيطرة جروح الماضي ، والاستفزاز واستثارة الطرف الآخر وجرحه،
وهي لعمري جذيرة بالرعاية في المجال الديني وحواراته ، ولا شك أن رجال
الدين ممن قال الله - تعالى - فيهم : " بِأَن مِّنْهُمْ فَسَّيْسِينَ وَرَهَبَاتًا وَأَنَّهُمْ لَا
يَسْتَكْبِرُونَ " (المائدة : 82) أولى برعاية هذه الآداب والقيم ، وهي حرية أن
تتري لقاءاتهم ، وتعين على تحقيق الهدف المنشود .

